دمج آفاق غادامير

دوغلاس جونز
ترجمة: خالدة حامد

ترتكز الحكاية ما بعد الحداثية على الزعم القائل بأن التفكير كله لسانيّ في جوهره ، أو بحسب تعبير غادامير " الاتحاد الحميم بين اللغة والفكر هو البديهة التي تنطلق منها فلسفة اللغة ". ونجد في أي تعاقب لما بعد الحداثة (النيتشوي ، الهيدغري ، الغادامري ، الرورتي ، الدريدي ، ..الخ) أن الغاية الرئيسة هي تقويض أساس مشاريع التنوير الغربية (الإغريقية . المسيحية) التي تنادي بالحقيقة الموضوعية والعقلانية . وقد هدفت إلى ذلك من خلال تأكيدها أن الحقيقة الموضوعية من أي نوع كانت هي محض استحالة أمام الإنسان لأننا كلنا ومزاعمنا بالموضوعية لا نشكل سوى جزءا من سيرورة تاريخية عارضة ، متأرجحة .

ويؤكد ما بعد الحداثيين ، وجه التخصيص ، أن الادعاءات الحديثة كلها بالحقيقة الموضوعية مستمدة من الفكر الإنساني والفكر الإنساني لسانيّ في جوهره . لكن اللغة ، مثلما لاحظوا ، متغيرة وقائمة على التواضع وبذا يكون الفكر الإنساني ومزاعمه بمعرفة الحقيقة الموضوعية محض خيالات واهية . لاحظ هنا مركزية الربط الجوهري بين الفكر واللغة . ومن دون هذا الزعم المحوري ينهار هيكل ما بعد الحداثي من أساسه . وسأتناول هنا بعض أسباب الشك الذي يثار بصدد هذا الزعم المركزي لما بعد الحداثة معتمداً في ذلك على الملاحظات الخاصة بحجج كتاب غادامير الألمعي " الحقيقة والمنهج " .

لماذا غادامير ؟

تحظى حجج غادامير بأهمية في جوانب عدة. قد كان الغاداميريون مرة الفريق الأكثر إثارة لكنهم اليوم يدافعون عن أنفسهم بوصفهم النقاد المسؤولين عن الحداثة ، لا على غرار أولئك الفتية الأشرار من التفكيكيين " الذين أوصلنا نقدهم للميتافيزيقا إلى النسبية الواهنة ؛ ذلك النوع من العدمية الفلسفية غادامير يقودنا إلى ما وراء الموضوعية (الميتافيزيقا والابستمولوجيا) والنسبية" . وعلى الرغم من المسافة البلاغية المرغوبة ، يشاطر الغاداميريون غيرهم من التفكيكيين معارضتهم الموضوعية وإن كانوا يعترفون أحياناً بأن التفكيكية هي " آخر مرحلة في تطور الهرمنيوطيقا (الغاداميرية) ". وتبرز أهمية دراسة غادامير هنا إذا انتبهنا إلى حرارة التلقي الذي أبداه الإنجليون لكتابه ؛ فهو يكتب مبدياً تعاطفاً ما للمسيحية الحلولية ولا ينتقص منها مثلما يفعل بقية الما بعد حداثيين . ولعل كتاب انتوني تيزلتون ، "الأفقان" مثال على عمل إنجيلي مهم يتبنى نزعة اللغة . الفكر الغادامرية . بل نجد في كتاب هارفي كون ، " الباطنية والهرمنيوطيقا : تراثاً ، تحدياً ، مناظرة " ، نجد تمجيداً كبيراً للوصف الغادامري للفهم بوصفه " انصهاراً للآفاق " :

علينا أن ننظر إلى المكان الذي يتقاطع عنده أفق النص بأفق المؤول ، أو يتشابكان . ومن خلال السعي وراء هذا الانصهار أمكن الوصول إلى إحساس جديد بالثقافات الإنسانية ودورها في سيرورة الفهم . وينغمر الأفقان في ثقافات مختلفة ؛ أحياناً متشابهة وأحياناً ليستا كذلك كان الإنجيليون في الماضي يشاطرون الليبراليين مزايا التفسير الديني التاريخي . النحوي للكتاب المقدس ومع ذلك كانت هناك نداءات تحذير ضد السهولة التي يمكن بها الوصول إلى هدف الموضوعية.

مشروع غادامير الهرمنيوطيقي

لا يبرز غادامير بصفة شخصية تأسيسيّة في المشروع الراديكالي ما بعد الحداثي بل لأن الإنجيليين اعتنقوا الكثير من مشروعه الهرمنيوطيقي . فما هذا المشروع ؟ يمكن وصفه بأبسط شكل بأنه مهرجان ثقافي . ففي مهرجان يحتفي بماضٍ ما ، بحدث تاريخي ، لا نعمد إلى استنساخ الحدث الأصل فحسب بل نحاول إعادة إنتاجه آلياً على النحو الذي حدث فيه . ولا نعمد إلى الاحتفاء به ذاتياً كلاً بحسب درجة وعيه . بل يشتمل على هذين الجانبين معاً وعلى شيء أكثر إبداعاً يدفع المشاركين كلهم إلى التغيير . المهرجان يدمج الماضي والحاضر في لحظة إبداعية جديدة ؛ في معنى وأثر الماضي والحاضر معاً .

يقول غادامير أن تأويل النص شبيه بهذه العملية ؛ فالماضي . قصد المؤلف ، ثقافته ، تاريخه . يكون له دور واحد وليس الدور بأكمله مثلما تصور " الحداثيين " أمثال المصلحين البروتستانت. ولا يستطيع الحاضر إلا أن يجلب قضاياه وافتراضاته وموروثاته الجديدة التي تولدت من تراث المؤلف . فحينما نؤول نصاً ما أو نحتفي به علينا أن ندمج (أو نصهر) التراث / الأفق الماضي مع تراث / أفق الحاضر . لا نستطيع القفز إلى معاني الماضي ولا نستطيع أيضاً فرض معانينا على النص بل نجلب الاثنين معاً ونخلق معاً طازج الصهر ؛ خبرة طازجة واحتفاء بالنص . وبفعلنا هذا نتعالى على تلك الموضوعية القديمة السيئة التي يتم تأكيدها عند ربط معاني الماضي نفسها ، كما نتعالى على العدمية ما بعد الحداثية من خلال تجاوز تأويلاتنا الخاصة وصولاً إلى تأويلات جديدة .

إن هذا العرض البسيط لا الساذج ، كما آمل ، يلخص الأجزاء الثلاثة من كتاب غادامير " الحقيقة والمنهج " . ففي القسم الأول من الكتاب يقدم غادامير تجربة الماضي . الحاضر في الفن والألعاب والمهرجانات . ويطور في القسم الثاني مفهوم تراث المؤول التاريخي وأفقه المتناهي وما يحمله من أحكام مسبقة وتحيزات ، ويختتم بالتشديد على أهمية التساؤل من داخل أفقنا الذي يجبرنا ، بطريقة سقراطية ، على الانصهار مع أفق المؤلف بطريقة إبداعية جديدة . ويتعمق غادامير في القسم الثالث بالذاتية التاريخية للقسم الثاني من خلال ربط الفهم باللغة وبذا تكون " اللغة " الوسط الكليّ الذي يتحقق فيه الفهم " . وبذا يكون فهم كل مؤول مرتبطاً ، بعمق ، بالتواضع المتغير مثلما يحدث مع النحو اللساني تماماً . ويؤكد غادامير أن الذي يتمخض عن ذلك هو هرمنيوطيقا كليّة ؛ انعطافة أونطولوجية ، تتواجه فيها الموروثات اللسانية مع بعضها وتصير أحداث منصهرة جديدة .

ويلخص واتشرهاوزر هدف غادامير البراغماتي من أجل التغيير الثقافي على النحو الآتي :

لابد من ، بل ينبغي ، تسوية احتمالات الفهم المتصادمة في العلوم الإنسانية تسوية تامة على الصعيدين اللاعلمي والأخلاقي . ولن نتمكن من ذلك إلا عبر الفهم التطبيقي ؛ أي الحكم العليم المعصوم من الخطأ تاريخياً بصدد ما هو " الأفضل " الآن . وإذا كان الفهم لا يحدث إلا بربط اهتمامات النص أو النزاعات بشأن قضية ما باهتماماتنا الإنسانية ، وإذا كان بالإمكان تقصي هذه الاهتمامات عن طريق حكم عليم تاريخياً يحدد ما هو مهم وضروري وعاجل وإشكالي و..الخ ، لمجتمع ما فعندئذ لابد من اتخاذ القرار بشأن أي من النزاعات بين المجتمعات هو الأهم والضروري والعاجل والإشكالي في الوقت الحاضر . ولا تتاح مطلقاً أية معايير تاريخية ستؤدي إلى تسوية جدالاتنا بل علينا أن نعتمد معاييرنا البراغماتية في اللحظة الراهنة .

الاغاني العراقية الحزينة

شعر : باسم حسن

صورتي المدرسية الصغيرة في دخان الحائط
بريئة...وضاحكة، وبلا ندم
ومن غير اخطاء صديئة
ومن غير ديون
وما كان فيها ما يشير الى حروب كثيرة ستحدث
بعد سنين...
أي في المعنى الذي دائماً بانتظارنا
في نهاية المطاف
ليفتح قبضته المليئة بالجراد والفحم
تاركا اكياس القمامة قرب النهر
حيث تمضغ القطط المتوحشة في الليل
اقراطاً نحاسية دامية، وباردة
واوراقاً للفتيات اللائي لطخت سيقانهن
رداءة الحب...
عندما ايقظت النسور في ظلام التلال
جثة صاحبي
كان صغيرا...ابيض الوجه
حتى ان الثعالب لم تجد مشقة
وهي تنهش ريش يديه
لا ادري...
من اخرجه من حجارة المدرسة
ومضى به الى حجارة الحرب...
اذ كانت في المطبخ صبية صغيرة تبكي...
وانا انظر من الشباك الى اشياء كثيرة في المطر
حيث الاطفال الذين لم تعد لهم مدارس...
وايضا...
لم يعد لهم آباء
والعجوز الذي قال: لم يبق مع الدخان غيري...
ابنائي قتلوا في الحرب..
ولم اجد في شباك المطبخ، غير عباءة ابنتي
ودماء نعليها في الزجاج
الذي اطفأته الطائرات الليلية الصاخبة..

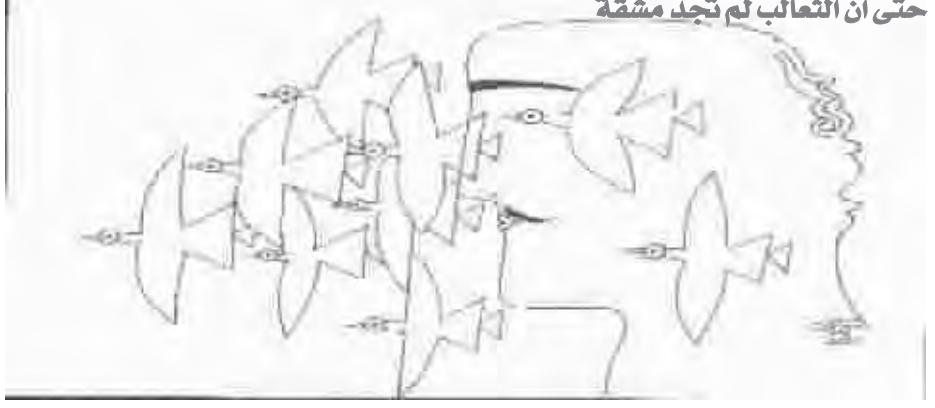

نص في المكان

شارع الرشيد

رزاق عداي

تصوير نهاد العزاوي

الشوارع الكبيرة غالباً ما تنطوي على مواصفات حية لا تختلف بها كثيراً عن أي كائن آخر فهي تولد وتعمر وتشيخ دائما، ففي لحظة ما تشرع هذه الشوارع بالتألق شيئاً فشيئاً ثم بغتة وفي لحظة تاريخية اخرى تبدأ بالانحدار، هكذا هي الشوارع الضخمة في المدن الكبيرة، فلان مدارات المدن هي حركة دائبة، ولان احشاءها مفعمة برحاب زاخرة، فهي عرضة للتغير وبالتالي قد يداهمها مصير يشبه الشيخوخة عند الكائنات الحية . لقد تبدلت الشوارع خلال القرنين المنصرمين كما يقول احد المفكرين المعماريين، فالشارع الذي كان في القرن الثامن عشر والقرن الذي بعده الى حد ما يتميز بكونه يضم البشر نحو الداخل وهم يوجدون فيه او يتهادون عبره في بيئة ساكنة وحنونة، اما عندما توسعت المدن في القرن العشرين ووفق التطورات الهائلة التي شملت واقع الحياة برمتها فلقد تميزت الشوارع بانها قد امتلكت مهام ومواصفات جديدة يمكن حصر اشكالها باندفاعات تاخذ المجموعات البشرية خارج المدينة وهي ما تسمى بالشوارع السريعة، ان ما تتميز به هذه الشوارع عن شوارع الازمنة القديمة بانها واسعة وضخمة ومعلقة على الغالب بالهواء، كما انها تشير وفقاً التطورات هندسية حديثة، لقد لاح وخيم على الشوارع الحديثة كل المناخ المعاصر فهي تتمتع بالسرعة والخفة والتموج، كما انها تتميز باختفاء الارتباط المعنوي بينها وبين الحيوات التي تستهلكها انطلاقاً مع واقع معاصر يعنى بالدرجة الاساس بالانتاج والاستهلاك ولا شيء غيره.

اما شارع الرشيد فهو الشارع الذي زامن واعلن عن انطلاق بغداد الحديثة، انه ينساب كالأفعى الى جوار دجلة ولكأنه يود ان يحاكيها في الخلود، وحين كان هذا الشارع يمتد شيئاً فشيئاً كانت حارات المدن تنشأ الواحدة بعد الاخرى حوله، لقد جمع شارع الرشيد مدينة بغداد، ارض الیباب انذاك ، ووحدها معلناً عن انبثاق جديد لمدينة باهرة، لقد صار الناس يأتون الى شارع البهاء وكأنهم يلجون حياة جديدة، نعم لقد احدث هذا الشارع تمركزاً حياتياً عميقاً في وجودهم، انهم يثبون الى افق جديد، لقد اراد التاريخ من خلال هذا الشارع ان يحدث قطيعة نوعية في حياتهم السابقة، كما يقول المؤرخون ان بغداد خرجت في اعقاب الحرب العالمية الثانية عبارة عن خراب مطلق وخرائب مهدمة تتقاذفها الفوضى والانسحاق في اقصى أشكاله، اما من حيث العمران والبناء فيمكن ان نتصور ان جانب الكرخ كان اشبه بهياكل طينية قديمة، ربما بعض الصور الفوتوغرافية الباقية حتى هذا اليوم تؤكد هذا، اما جانب الرصافة فلا يختلف عن هذا سوى بعض هياكل الحكومات البائدة، لذا كان ينبغي ان يكون هناك مركز معماري جديد لنهوض هذه المدينة المجيدة فكان شارع الرشيد.

وهكذا انبثقت بغداد من رمادها، ان أية حركة او تجديد او وعي او حركة كانت تنوجد في هذا الشارع وتنداح فيه، اما ريازة هذا الشارع فلقد اختلفت عن ريازات الشوارع الاخرى في كل البلاد، ولهذا كان ينتاب المرء حين يمرق في هذا الشارع بان شعوراً مدينياً يحدق به او انه يحدث بانه يستشعر بان حضارة تنبثق في هذا الشارع من جديد، فلقد انتقلت كل اشكال وابتكارات العالم الجديد في هذا الشارع الحافلات الجديدة، السيارات الانيقة والسريعة والملونة والاضوية الباهرة غير المعهودة والواجهات الزجاجية العريضة، والروائح النافذة غير المسبوقة على الانوف، لقد كان شارع الرشيد كرنفالاً حقيقياً عند نهاره وليلة.

ات مسيرة متهلة ومتيقظة تبدأ من ساحة الميدان مروراً بمقهى "حسن عجمي" وجامع الحيدرخانة، وجسر الشهداء ومكتبة مكنزي، وجسر الاحرار وجامع السيد سلطان علي، ومقهى البرازيلية ، وسينما الزوراء، وتنتهي بجسر الجمهورية، قادرة على ان تعطي صوره متواترة ومتتابعة لكل الجموع التي شغلت هذا الشارع ومرت منه والأصوات التي صدرت عنه ذات يوم، لقد ذهبت كل تلك التبديات المتغيرة، وبقي شارع الرشيد، قائماً بهياكله وظلاله وزواياه وشناشيله، ان هذه المتبقيات كافية تؤشر طبقات التاريخ والوقائع التي احتواها عبر عمره المديد، لقد كان ميلاداً وامتداداً لتاريخ هذه المدينة وكان ملمحاً لشيخ تكتنفه الحكمة، لقد ظل هذا الرمز جامحاً لا يمحوه الزمن...لقد دبت بين ضلوعه السكينة ولكن غصونه مازالت تشير الى الحياة.

مركز دراسات الموصل ...

مشروع ثقافي كبير لتدوين تاريخ محافظة نينوى ...

الموصل / مكتب المدى / رعد الجماس

مركز دراسات الموصل مؤسسة ثقافية أكاديمية تضطلع بدور بالغ الأهمية في توثيق أوجه النشاطات المختلفة في محافظة نينوى بشكل عام ومدينة الموصل على وجه التحديد ، لاسيما منها ما يتعلق بالجوانب الثقافية والتراثية والحضارية قديماً وحديثاً ، حيث عني بالبحوث العلمية التي تتناول هذا الجانب ، كما أهتم بنشر الدراسات المتخصصة بتاريخ المدينة ، ورعاية الندوات والمؤتمرات التي تصب في خدمة وتطوير مدينة الموصل وما جاورها .. للمزيد من التفاصيل عن هذا المركز الثقافي وجهوده التوثيقية كان لـ(المدى) هذه الزيارة لمقره ..

(الدكتور ذنون الطائي) مدير المركز قال :

– اسس هذا المركز في العام ١٩٩٢ ، وحمل اسم مركز وثائق الموصل ومقره داخل حرم جامعة الموصل ، وفي منتصف التسعينيات أتخذ اسمه الحالي ، ويهدف إلى الحفاظ على تراث المدينة خلال تأريخها الطويل والاهتمام بجمع الوثائق المختلفة عنها ودراستها وأرشفتها ، كما يسعى إلى تسجيل وتثبيت كل ما له علاقة بالبيئة الموصلية من ثقافة وفنون وآداب وتخطيط ونمو عمراني وغيرها.

وعن أقسام المركز أضاف :

– يتألف المركز من ثلاثة أقسام علمية هي قسم الدراسات الثقافية والسياسية والتاريخية ، وقسم الدراسات الآثارية والمعمارية ، وقسم الوثائق والمخطوطات ، بالإضافة إلى متحف التراث الشعبي ومتحف ثورة الموصل ، ووحدة الحاسبة والشؤون الإدارية.

❖ وماذا يضم متحف التراث الشعبي؟

– يضم نماذج جبسية آدمية لأصحاب الحرف والصناعات الشعبية تحمل سمات سكان المدينة الأصليين وملامحهم وعليها أزياء شعبية موصلية وضعت في زوايا مناسبة من المتحف لنقل الزائر إلى أجواء أسواق الموصل القديمة بما فيها من محال ودكاكين وباعة متجولين وزبائن وعابري سبيل ، ترافق ذلك أنغام موسيقية وأغان شعبية من تلك التي كانت تسمع في أسواق الموصل ومقاهيها وقبل زمن قريب ، كما اشتملت قاعات المتحف ايضاً على كل ما يحتويه البيت الموصلي من نشاطات اجتماعية ومهنية ، إضافة إلى أجنحة أخرى صورت مشاهد من الريف والبادية بحرفها القروية وأدواتها الزراعية ، إلى جانب كل ما تضمه الخيمة العربية الأصيلة ، وجدير بالذكر أن المتحف تعرض إلى أعمال السرقة والتخريب المنظم بعد أحداث نيسان من العام ٢٠٠٣ ، لكننا استطعنا وبجهود الخيرين والمسؤولين إعادة تأهيل وترميم معظم قاعاته وشخوصه ، وتم افتتاحه من جديد بعد إكمال مرحلة الصيانة والترميم.

الدكتور ذنون الطائي

وعن نشاطات المركز المختلفة أضاف الدكتور الطائي :

– للمركز عدة نشاطات واهتمامات ، منها عقد الحلقات النقاشية التي تتناول من خلالها مواضيع بحتية مختلفة ويحضرها باحثون ومهتمون وأساتذة وطلبة مواطنون ، وهي حلقات دورية بمواعيد ثابتة ، كما أن للمركز نشاطاً آخراً يتعلق بتوثيق سير حياة الشخصيات الموصلية المعروفة ذات الأثر الفاعل في مجالات الفكر والعلوم المختلفة ، وذلك ضمن خطة عمل خاصة بالمركز ، أما فيما يخص الندوات والمؤتمرات العلمية فلدينا منها الكثير ، حيث عقد المركز العديد من الندوات وبمختلف المواضيع والعناوين وسلط الضوء من خلالها على كل ما يمس مدينة الموصل ويتصل بها ، ومن هذه العناوين ندوة بعنوان (الأندية والجمعيات في الموصل في القرن العشرين) وندوة عن (الخصائص العامة للشخصية الموصلية) وأخرى عن (الصحافة الموصلية قديماً وحديثاً) والتحضيرات جارية لعقد ندوات أخرى مستقبلاً.

– وماذا عن إصداراتكم الخاصة؟

– صدر عن المركز عدد من المجلات والدوريات منها مجلة بعنوان (أوراق موصلية) وهي مجلة علمية محكمة ، ودورية أخرى حملت عنوان (موصليات) وهي دورية ثقافية عامة تحررها نخبة من الأدباء والباحثين المعروفين ، كما صدرت عن المركز أيضاً (سلسلة أعلام موصليين) تناولنا من خلالها عدد من الشخصيات المعروفة في الموصل ممن تركت بصمة واضحة في مجال العمل الإبداعي.

أما عن خطة عمل المركز المستقبلية فقد قال مديره :

– مشاريعنا للمستقبل متعددة واهمها تنفيذ مشروع كبير لتدوين وكتابة تاريخ مدينة الموصل حولياً ، حيث بدأ فريق العمل المكلف بالتنفيذ بجمع المعلومات التاريخية اللازمة يوماً بيوم عن المدينة ومنذ مطلع القرن العشرين ولغاية اليوم ، وهناك مشروع أخر لجمع وثائق مختلفة ومتعددة عن مدينة الموصل ، حيث سيعمل باحثون متخصصون على جمع وتصنيف وفهرسة هذه الوثائق التي يسعى المركز للحصول عليها من الدوائر والمؤسسات المختلفة ، كما نعمل على تأسيس مكتبة تضم مؤلفات ونتاجات وكتباً من تأليف مؤرخين وأدباء من أهل الموصل ، إضافة إلى حفظ المخطوطات الموصلية بعد محاولة تحقيقها ونشرها ، كما أن هناك خطة عمل للنهوض بأنشطة العام الدراسي الحالي لجامعة الموصل حيث تشكل فريق عمل بحثي لإنجاز مشروع الموصل للأطاريح الجامعية وغايته إعداد دليل ببلوغرافي عن كل الاطاريح التي تناولت في مناقشتها مدينة الموصل بمضامينها المتنوعة ، إلى جانب مشروع آخر يتناول الموصل في الدوريات العراقية حيث يقوم المركز وبالتعاون مع المكتبة المركزية لجامعة الموصل بجمع كل الدوريات العراقية بمختلف اختصاصاتها العلمية والأدبية والثقافية من خلال فريق عمل متخصص سيعمل على تبويب وفهرسة وتسجيل مواضيع هذه الدوريات ثم إصدارها على هيئة دليل ببلوغرافي ليكون مرجعاً لكل باحث ومستفيد يروم الكتابة عن مدينة الموصل وتأريخها العريق.